مجلة المعارف للبحوث و الدراسات التاريخية
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/111
ISSN: 2437-0584/ EISSN: 2437-0584
المجلد التاسع ،العدد الثالث ،نوفمبر 2024، ص - ص:170.-208

أصحاب أبي الحسن الشاذلي "الأربعين" في المغرب والمشرق.

The forty companions of Abu Al-Hassan Al-Shadili in the west (Maghreb) and east

فريد قموح(*)	إبراهيم بكير بحاز
جامعة 20 أوت 1955، الجزائر،	المعهد العالي للعلوم، (الجزائر)،
f.gamouh@univ-skikda.dz	bahazhistory@yahoo.fr

تاريخ الاستلام: 30 /2023/09 تاريخ القبول: 07 /2024/04 تاريخ النشر: 23 /2024/11

الملخص

إن المتتبع لسيرة القطب أبي الحسن الشاذلية الأب الروحي للطريقة الشاذلية تستوقفه محطات أساسية لا يمكن التغاضي عنها أو إغفالها نظرا لما تركته من أثر بارز استمر طوال حياته وبخاصة في مرحلة مكوثه الطويل بتونس وكذا مرحلة استقراره بمصر حتى وفاته، ثم استمر ذلك الأثر أكثر إشراقا بعد وفاته، ونخص بالذكر في هذا المقام مسألة أصحابه "الأربعين" في المغرب والمشرق الذين رافقوه أثناء مساره الطويل في تكوين شخصيته الصوفية، من البحث عن الحقيقة حتى الارتقاء إلى مصاف القطبانية، وما ترتب عن ذلك من تراث كانوا شهودا عليه، ثم ساهموا في تعريف الناس به ونشره في الآفاق، ومازال صدى مجهوداتهم يُلْتَمس إلى اليوم.

لقد شغل أصحاب الشيخ أبي الحسن جزء هاما في حياته بعلاقاتهم وخدمتهم ودفاعهم وحضورهم الدائم، وذلك لما مثلته الصحبة عند الشاذلي من مظهر التفاعل الايجابي للقائد الصوفي مع المجتمع بفئاته، ومظهرا لقوة الرابطة الروحية والثقة المتينة بينه وبين أتباعه، وسبيلا لاستمرار شعاعه العلمي والسلوكي سواء في حياته أو بعد مماته، ومن دلالات ذلك قول الشاذلي "كتبي أصحابي"، وذلك رد قوي مفعم بارتياح عن دور أصحابه الثابت في نشر أفكاره وحفظها وتبليغها للناس، وهذا ما يدفعنا

* فريد قموح.

لطرق هذا الموضوع من جوانبه المختلفة كحقيقة وجودهم وعددهم ودورهم وغيرها.

الكلمات الدالة: الشّاذلي؛ الأصحاب؛ المغرب؛ المشرق؛ الأربعين؛ الشّيخ.

Abstrac:

The follower of the biography of Abu Al-Hassan Al-Shadili, the spiritual father of the Shadili method, is stopped by basic station that cannot be overlooked, given the prominent impact he left that continued throughout this life, especially during the period of this long stay in Tunisia, as well as the stage of this stability in Egypt until his death, and then that impact continued brighter after his death. We mention in this respect the issue of his companions in the Maghreb and the East who accompanied him during his busy path in the formation of his sufi personality, from the search for the truth until the elevation to the ranks of the quatbaniyyah, and the resulting heritage that they were witnesses to, and then they contributed to introducing people to him and publishing him in prospects, and their efforts are still echoed today.

Shadili'companions occupied an important part in his life with its relations, service, defense, and permanent presence, and that is because companionship for Al-Shadili represented the manifestation of the positive interaction of the sufi leader with the community of its groups, and an affirmation of the strength of the spiritual bond and the solid trust between him and followers and a way for the continuation of its scientific and behavioral ray in his life and after his death. Among the indications of this is Al-Shadili saying: "My books are my companions", and that is a strong response full of satisfaction about the constant role of his companions in spreading his ideas, preserving them, and informing them to people.

Keywords:

Al-Shadili; The Companions; Maghreb; East; The Forty; Al-Sheikh.

مقدمة:

إن المتتبّع لمسار تاريخ التصوف في العالم الإسلامي ورجالاته وطرقه وتفرعاته لا يمكنه بأي حال من الأحوال أن يغفل الأثر والتطور الهائل والمتميز الذي أحدثه ظهور الطريقة الشاذلية على مسرح الأحداث منذ القرن 7هـ/13م وتفاعلاتها الدينية والاجتماعية التي ابتدأت منذ عصر مؤسسها وزعيمها الروحي القطب أبو الحسن الشاذلي المغربي[1] مولدا والتونسي نشأة والمصري خاتمة ووفاة، حيث تعددت تفرعاتها وتوسع انتشارها وازداد تأثيرها، ومازالت مستمرة إلى اليوم في كثير من المناطق.

لقد كان وما يزال من الصعب الترجمة لأبي الحسن الشاذلي ووضعه في السياق التاريخي بسبب اختلاط ما هو تاريخي حقيقي في حياته بما ورد عن أتباعه في مناقبه من كرامات وأعاجيب، جعلت من العسير سد ثغرات مهمة في بعض مراحل حياته اعتمادا على ما لدينا من مصادر، وهي في الغالب من نوع كتب المناقب التي لا نجد فيها اهتماما مباشرا بالزمان والمكان[2] بقدر ما تسعى لإبراز القيم الأخلاقية والمعنوية لشخصية صوفية فذة يُرَادُ لها أن تكون قدوة في أفعالها وسلوكياتها وعبوديتها، وفي ذهابها وإيابها، وفي حياتها وما بعد مماتها.

ولعل من المسائل التي ارتبطت بحياة مؤسس الطريقة الشاذلية سواء في تونس أو مصر مسيرة "أصحابه الأربعين" ومناقبهم، والتي اتخذت رمزية عالية تدل على مظهر من مظاهر الاحتفاء بشخصية الشاذلي من جهة، ومن جهة أخرى يدل ذلك على الرغبة الملحة في تكريم هذه الأسماء بما يؤكد على مرتبتهم الصوفية العالية، ودورهم المحوري في نشر أصول الطريقة ومبادئها باعتبارهم قدوة سلوكية للمريدين، وبما نقلوه من تراث الشاذلية على لسان مؤسسها وبثه بين فئات المجتمع ليصبح أكثر ثباتا ورسوخا في الذاكرة.

ليس لأبي الشاذلي تآليف بالمعنى الدقيق تفصح مباشرة عن أفكاره الصوفية، بل خلف أقوالا وحكما ووصايا في التصوف والطريقة والسلوك جمعها أصحابه ومترجموه، وله رسائل وجهها إلى أصحابه بتونس بعد رحيله، ولعل أدعيته المسماة بالأحزاب أشهر ما ترك من نصوص صوفية، وهي أدعية ذات نفس صوفي عميق قائمة على التوحيد والابتهال[3]، وإذا كان

الشاذلي لم يترك كتبا مؤلفة فإنه ترك ذكرا خالدا، وطريقا حميدة، وآثارا بارزة، وأصحابا بررة[4]، وقد أُثِر عن الشاذلي قوله: "كتبي أصحابي"[5]، وذلك عند سؤاله عن عدم وضع الكتب في الدلالة على الله تعالى وعلوم القوم[6]، وفي هذا تأكيد واضح على ثقة الشيخ العالية في أصحابه سواء في حياته أو بعد مماته، وأنهم منوطون بالحفاظ على أفكاره ونشرها عاجلا أم آجلا.

وانطلاقا مما سبق نطرح الإشكال الأساسي التالي: إلى أي مدى تحقق وجود أصحاب الشاذلي عددا وعدة سواء في المشرق أو المغرب، وما هو دورهم في نشر التراث الشاذلي وإثرائه؟

ويندرج تحت هذا الإشكال الأساسي فرضيات جزئية تستدعي البحث عن إجابة لتساؤلات أهمها:

- لماذا اشتهر استخدام كلمة "الأصحاب" بدلا عن غيرها في وصف أتباع الشاذلي المعاصرين له؟
- كيف ساهمت مسألة أصحابه الأربعين في ترسيخ تراثهم وبخاصة في المغرب(تونس) ؟
- أَوَ لَيْسٍ الشاذلي محظوظا باستمرار تدفق الأصحاب طوال حياته رغم تغير الزمان والسلطة في المغرب والمشرق، ثم دورهم الكبير في نقل سيرته وفكره عبر سلسلة من الأجيال المتصلة ؟

وللإجابة على ذلك ارتأيت تقسيم هذا المقال إلى خمسة مباحث مفادها:

1- أصحاب أم تلاميذ؟ 2- دلالة "الأربعين" في التراث الصوفي الشاذلي

3- أصحاب الشاذلي في المغرب 4- استقرار الشاذلي بالمشرق وصدى صحبته

5- دور الأصحاب في نشر الفكر الشاذلي

1- أصحاب أم تلاميذ؟:

إنّ أول ما يتبادر إلى الذهن عند التطرق إلى مسألة "أصحاب" الشاذلي يتعلق بالانتقاء الاصطلاحي لوصف هذه المجموعة الدائرة حول الشيخ أبي الحسن في فترة ليست باليسيرة استمرت منذ وطئت قدماه الأراضي التونسية إلى غاية استقراره بمصر ووفاته، وعلى غير المعتاد في مختلف السير الصوفية حيث نجد ألفاظا أكثر تداولا كالمريدين والتلاميذ والأتباع وغيرها، ويبدو المنطقي أن

في تفضيل مصطلح الأصحاب إنما يعود لدلالته القوية ومعانيه المتفردة، ولشرح ذلك وتبسيطه أكثر – على سبيل المثال لا الحصر– سنقارن بين معاني لفظتي الأصحاب والتلاميذ حتى ندرك سبب شهرة مصطلح ما على حساب البقية، وتجذره في الذاكرة الشاذلية لقرون.

قال ابن دريد: "والصَّحْب والصَّحَاب والأصْحَاب والصَّحَابة واحد، فإذا قالوا صِحَابَة فهم الأصحاب، وإذا قالوا صَحَابَة فهم القوم الذين يصحبونه، وربما كانت الصَّحابة مصدر، يقولون: فلان حسن الصَّحَابَة أي الصُّحْبة"[7].

وعموما الصُّحبة: بالضم لغة تعني الرفقة[8]، وفي الاصطلاح تعني باختصار وجود طرفين و"تفيد انتفاع أحد الصاحبين بالآخر...وأصله في العربية: الحفظ... وفي القرآن– قوله تعالى – ﴿**ولا هم منا يصحبون**﴾[9]، أي يحفظون"[10]، أو يمنعون ويجارون، "ألا ترى أن العرب تقول أنا جار لك ومعناه أجيرك وأمنعك"[11].

أمّا التلميذ: لغة واصطلاحا فهو: "من لزم شخصا ليتعلم منه علما أو حرفة"[12]، ويأخذ أيضا معنى الخادم والتابع، قال ابن منظور: "التلاميذ: الخدم والأتباع، واحدهم تلميذ"[13]، وزاد عليه الزبيدي بقوله أن: "المراد منه المتعلم"[14].

وعند الصوفية نجد أن "المريد: التلميذ المحب لشيخه المستسلم"[15]، وليس بالضرورة كل تلميذ هو مريد، فيتبين هنا أن المريد تابع لشيخه، منسوب إلى طريقته، والتلميذ قد يكتفي من شيخه بالدراسة والتعلم فحسب.

والمعلوم أن لفظ الصحابة مخصوص اصطلاحا بأصحاب الرسول محمد صلى الله عليه وسلم، في حين يطلق لفظ الأصحاب عموما سواء على أصحابه صلى الله عليه وسلم[16] أو غيرهم من الأصحاب في كل زمان ومكان، ولنا في القرآن الكريم المثل الأعلى في ذلك[17]، ولما كان لفظي الصحابة والأصحاب واحد في المعنى كما أسلفنا مع اختصاص الأول وعموم الثاني استلطف بعض الصوفية ومنهم أبي الحسن الشاذلي استخدام مصطلح الأصحاب أكثر من غيره للدلالة على المنتسبين إلى الشيخ لما يحمله من معاني إيجابية قوية كالرفقة والملازمة والحفظ والمنع وغيرها، وهذا ما يفسر تفضيله على بقية الألفاظ كالتلميذ والمريد.

لقد أوجز أبو الحسن الشاذلي صفات من يستحق صحبته في التزام بسيط، حيث أُثر عن أبي العباس المرسي أن شيخه الشاذلي قال له: "إذا أردت أن تكون من أصحابي فلا تسأل من أحد شيئا"، فذكر المرسي أنه مكث على ذلك سنة ثم قال له: "إن أردت أن تكون من أصحابي فلا تقبل من أحد شيئا"[18]، وفي ذلك دلالة على الانقياد والانسجام وتمام التوافق بين الشيخ وأصحابه.

2- دلالة "الأربعين" في التراث الصوفي والشاذلي:

لعل من أبرز القضايا التي كان لها صلة بحياة الشيخ أبي الحسن الشاذلي وبعده مسألة أصحابه الأربعين ومناقبهم، ولعل استخدام هذا العدد على وجه التحديد ينطوي على أسرار ومعاني وحكم قد يتكشف بعضها ويغيب الآخر، ويعود ذلك إلى حضوره اللافت في عديد من النصوص في آيات القرآن الكريم[19]، وكتب السنة الشريفة[20]، وحتى في بعض الحكايات الشعبية المحفوظة في الذاكرة[21] المتواترة منذ مئات السنين.

أ- مسألة الأربعين والأبدال: إن دلالة الأربعين عند الصوفية تبرز في مسألة ما يعرف بالأبدال، حيث يعتقدون أن شؤون العالم ينوط به القطب، والقطب يستعين بأربعة من الأوتاد، وتحت تصرف الأوتاد أربعون من الأبدال، وبدون هذا العدد المقسم لا يبقى للعالم نظام ولا اتزان، ولذلك كان الأبدال هم المبرزون في الصلاح الصوفي، وإذا مات أحدهم عوضه آخر[22]، ويسوقون في ذلك حديثا عن طريق ابن مسعود إلى النبي صلى الله عليه وسلم مفاده: "لا يزال أربعون رجلا من أمتي قلوبهم على قلب إبراهيم يدفع الله بهم عن أهل الأرض يقال لهم الأبدال..."[23]، وفي نص آخر يتبين مكان وجود الأبدال الأربعين ودورهم، ففي المسند عن علي بن أبي طالب أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "الأبدال يكونون بالشام وهم أربعون رجلا كلما مات رجل أبدل الله مكانه رجلا يسقى بهم الغيث وينتصر بهم على الأعداء ويصرف عن أهل الشام بهم العذاب"[24]، ومسألة الأبدال في بعض النصوص لا تقتصر على الرجال بل تشمل حتى النساء على حد سواء[25].

وهناك من أطلق على الأربعين رجلا لفظ البدلاء عوضا عن الأبدال، وهناك من حصر الأبدال في سبعة فقط وراح يجتهد في ذكر أسمائهم[26]، وقال آخرون أنهم ثلاثون[27]، والحقيقة أن الحديث في أمر الأبدال يقود إلى جدل[28] يطول ويأخذ سياقات معقدة ولا طائل من الخوض فيه في هذا المقام.

وذهب آخرون من الصوفية منحا مختلفا في تفسير مسألة الأربعين حيث ذكر ابن عربي وغيره أن المقصود بهم "أربعون شخصا على قلب نوح عليه السلام في كل زمان ومكان لا يزيدون ولا ينقصون"، وأن "صفتهم القبض ودعاؤهم دعاء نوح"، وجعل مقامهم "مقام الغربة الدينية وهو مقام صعب المرتقى"، وقد ربط مقام هؤلاء الرجال أيضا بميقات النبي موسى عليه السلام[29]مع ربه المذكور في قصته في القرآن الكريم[30]، وجعل الشاذلي من خصائص الأبدال التربية وقد نقل عنه قوله: "من رباه القطب ربته أربعون بدلا"[31].

فيتبين لنا من خلال ما سبق أن مسألة الأربعين ليست اعتباطية أو عبثية بل مقصودة، لارتباطها بجذور في القرآن الكريم، والسنة النبوية المطهرة، وكذا لورودها في جوانب عديدة من الفكر الصوفي الذي سبق عصر الشاذلي.

ب– مسألة الأربعين بين المغرب والمشرق: بالعودة إلى المصادر الأصلية القريبة إلى عهد الشاذلي نجد في بعض الروايات أن انتقال الشاذلي إلى مصر هو الذي سينجر عنه ظهور أربعين وليا، إذ ينسب إلى الشيخ رؤية ومكاشفة ومخاطبة الرسول صلى الله عليه وسلم الذي أشار عليه بقوله: "انتقل إلى الديار المصرية تربي فيها أربعين صديقا"[32]، وفي رواية أخرى: "تر بها أربعين صديقا، فأمر أصحابه بالحركة، وسافر متوجها إلى الديار المصرية، ورأى في طريقه سبعين كرامة، وعده بها رسول الله صلى الله عليه وسلم حين رآه في النوم"[33]، فهذه البشرى تشير إلى أن تحقيقها إنما يكون على أرض مصر، ومعلوم أن الشاذلي سافر إلى مصر واستقر على أرضها لأكثر من عقد من الزمان حتى وفاته في سنة دخول المغول إلى بغداد عاصمة الخلافة العباسية وما حصل فيها من حوادث مروعة.

لكن الكتابات التفصيلية حول مسألة الأربعين جعلتها تأخذ بعدا مغربيا أكثر من المشرق، بل واكتست رمزية عالية في التاريخ الثقافي لماضي البلاد التونسية من العصر الوسيط وحتى الفترة المعاصرة مرورا بالعهد العثماني، باعتبار أن تشكل شخصية الشاذلي روحا واسما وتكوينا ارتبط بتونس وتاريخها الممزوج بالسياسة والأولياء، وهذا ما دفع جل من كتب حول مناقب الأربعين حتى فترة متأخرة يجعلها أكثر صلة وارتباطا بالمدينة وترسيخها بتاريخها، فجاء القول صريحا في عديد من التآليف المنقبية حولها بالقول: "خلف شيخنا ووسيلتنا إلى ربنا أبي الحسن الشاذلي رضي الله عنه حين سافر إلى بر المشرق بمدينة تونس أربعين سيدا ممن صافحه وأخذ عليه، وهم بتونس كالسور على البلاد"[34]، وفي رواية أخرى: "فإنه عند ذكرهم تنزل الرحمة"[35]، وهذا دليل على الأهمية الكبيرة التي لقيها هؤلاء في الوسط الصوفي عن طريق الاحتفاء بهم، وإبراز تأثيرهم الايجابي على أحوال العباد والبلاد.

لقد عززت الكتابات والدراسات المعاصرة الرأي بوضوح في جعل الأربعين جزء من التراث الشاذلي في تونس، وإلى ذلك أشار محمد النيال بقوله: "ذاعت الطريقة الشاذلية وأقبل الناس عليها في حياة أبي الحسن الشاذلي وبعد وفاته ففي افريقية ازدهرت الطريقة بأصحابه الأربعين، وفي مصر بخليفته في الولاية أبي العباس المرسي[36] وبابن عطا الاسكندري[37] صاحب الحكم[38]".

وهكذا على عكس الأوساط الصوفية في تونس التي ترسخت في ذاكرتها وكتاباتها أخبار الأربعين أصحاب أبي الحسن الشاذلي فإننا لا نجد أثرا مشابها لذلك في مصر، خاصة أن مشيخة الشاذلي وقطبانيته برزت أكثر في الإسكندرية حيث كان مقر سكناه، وكذا القاهرة وغيرها، حيث كان دائم التنقل بين المدن المصرية الكبرى يعظ ويوجه وينشر طريقته[39]، ومن المنطقي أن يترتب عن نشاطه الدؤوب التفاف العديد من الأتباع والأصحاب حول أفكاره، وقد ذكرت المصادر بعض الأسماء التي صحبت أبا الحسن الشاذلي في الديار المصرية حتى وفاته.

ج- القول المختصر في أصحاب الشاذلي: واكب الشاذلي خلال مسيرته الصوفية سواء في تونس (المغرب) أو مصر (المشرق) مجموعة مميزة من الأصحاب، وقد كانوا معه في استقراره

وترحاله، وقد أوجز القول فيهم ابن عطاء الله السكندري في لطائف المنن بقوله: "ونشأ على يديه رحمه الله رجال؛ منهم من أقام بالمغرب كأبي الحسن الصقلي وكان من أكابر الصديقين، وعبد الله الحبيبي وكان من أكابر الأولياء. ومنهم من تبعه وهاجر معه إلى ديار مصر؛ منهم شيخنا وقدوتنا إلى الله تعالى أبو العباس شهاب الدين أحمد بن عمر الأنصاري المرسي رضي الله عنه، ومنهم الحاج محمد القرطبي، وأبو الحسن البجائي ... وأبو عبد الله البجائي والوجهاني، والخراز. ومنهم من صحبه بديار مصر؛ منهم الشيخ عبد الله بن منصور المعروف بمكين الدين الأسمر، والشيخ عبد الحكيم، والشرف البوني، والشيخ عبد الله اللقاني، والشيخ عثمان البوزيجي، والشيخ أمين الدين جبريل، ولكل هؤلاء علوم وأسرار وأصحاب أخذوا عنهم"[40].

وهكذا يتجلى لنا أن من أسرار قوة وانتشار سيرة أبا الحسن الشاذلي واشتهار أقواله وحفظ تراثه وتناقله بين الأجيال إنما يعود إلى توسع دائرة أصحابه أينما حل وارتحل، فنرى بعضهم لا يكتفي بمصاحبته في مدينته أو بلده بل ينتقل ويسافر معه ويترك أهله إلى غيره من البلاد والعباد، فإلى أي حد يمكن تقسيم أصحاب الشاذلي حسب وضعيتهم المكانية في المغرب أو المشرق وبخاصة في حياة شيخهم الشاذلي؟.

3- **أصحاب الشاذلي في المغرب**: إن المقصود بالمغرب في عرف القرن 7هـ/13م وحتى القرن الذي يليه هي المنطقة الممتدة غرب مصر شرقا إلى المحيط الأطلسي(بحر الظلمات) غربا كما ذكر ابن خلدون[41] وغيره بعدها بقرن ، وإذا كانت المعلومات تعوزنا عن أخبار الشاذلي في فترة حياته الباكرة بالمغرب الأقصى فإن المعلومات حول مكوثه في تونس ثم مصر متواترة عند من ترجم له، وقد كان من ثمار استقرار الشاذلي في تونس أن حظي بصحبة عدد معتبر من الشخصيات، وذلك منذ وصوله إليها حتى مغادرته نهائيا إلى مصر، لكن صدى تلك الصحبة وتأثيراتها بقي مستمرا، سواء فيما تبقى من حياته أو حتى بعد ذلك بسنوات حيث بقيت سيرهم تروى شفاهة وكتابة، وما نتج عن ذلك من تصدر الشاذلية للمشهد الصوفي في البلاد التونسية إلى وقت ليس ببعيد، ولذلك من المهم أن نحاول الإجابة على سؤالين هما :

– مدى التفاوت في عدد أصحاب الشاذلي من خلال بعض الكتابات حول الموضوع؟

– المقارنة بين هذه الكتابات حول الشاذلي وحقيقة أول من صحبه في تونس؟

أ– حقيقة عددهم:

عندما غادر الشيخ أبو الحسن تونس ترك بها أغلب أصحابه، ويعتقد أن عددهم كان كبيرا[42]، مما يطرح السؤال حول تفسير مثل النجاح في بيئة غنية بالأولياء سواء المحليين أو الوافدين إليها زيارة أو استقرارا، وقد فسر برنشفيك ذلك بضعف تأثير متصوفة الأندلس على استقطاب وجدان أهل المغرب لتشعب نظرياتهم الفكرية وتعقيداتها، في حين كانوا ميالين إلى تقبل صيغة من التصوف أقل ارتفاعا من الصيغ الأندلسية، ولهذا كان أبو الحسن مثالا للثقافة والبساطة وسهولة التواصل مع الآخر، وفي هذا إشارة واضحة إلى جهود الشاذلي بالعودة بالتصوف على المنبع الذي يجب أن يصدر عنه، وهو الكتاب والسنة[43].

مهما يكن من أمر فإن أصحابه المشهورين هم أكثر من الأربعين، إنما غلب عليهم نعتهم بالأربعين[44]، وذكر بعضهم أنهم ستة وخمسون، وقيل أزيد من ذلك، ويحتمل أن المقصود بهم الذين لهم به مزيد صحبة، وهم الأربعون، ولا ينافي أن له غير ذلك[45]، ولهذا ليس من الصعب ضبط قائمة أسماء حوالي خمسين صاحبا من أولئك الأصحاب[46].

ب– إثبات أساميهم وترتيبهم وتفاوتهم في ذلك:

برزت الكتابات بشكل مكثف حول أصحاب الشاذلي الأربعين بتونس(المغرب) في الفترة الحديثة العثمانية، واستمرت حتى الفترة المعاصرة، وكان من آخر الذين كتبوا عن ذلك محمد بن عثمان الحشايشي(1853–1912م) في كتابه الموسوم ب "الدر الثمين في التعريف بأبي الحسن الشاذلي وأصحابه الأربعين"[47]، وقد أحصى فيه أسماء ستة وأربعين(46) من أصحاب أبي الحسن الشاذلي، ومن أجل التعرف على حقيقة أسماء أصحابه وتفاوت عددهم، سنجري مقارنة ذلك بما ورد في أربع كتابات مخطوطة أخرى حول الموضوع في دار الكتب الوطنية بتونس وهي:

- **مخطوط رقم: 18555**: مجموع تضمن 29 موضوعا، في 219 ورقة، من ضمنها: "باب في تعريف أولياء الأربعين أصحاب الشيخ الولي الصالح أبي الحسن الشاذلي رضي الله عنه ونفعنا به آمين"، من الورقة 1ظ إلى الورقة 7و.
- **مخطوط رقم: 04210**: مجموع تضمن 13 موضوعا، في 118 ورقة، من ضمنها: "تعريف أولياء الله الأربعين وغيرهم نفعنا الله بهم"، من الورقة 8ظ إلى الورقة 20ظ.
- **مخطوط رقم: 6556**: مجموع تضمن 19 موضوعا، في 107 ورقة، من ضمنها: "التعريف بالأولياء الأربعين رضي الله عنهم أجمعين"، من الورقة 1ظ إلى الورقة 7و.
- **مخطوط رقم: 1524**: تضمن موضوعا واحدا، في 10 أوراق، بعنوان: "رسالة في بعض مناقب أبي الحسن الشاذلي والبعض من أصحابه"، وكان الحديث فيها عن أصحاب الشاذلي الأربعين من الورقة 1ظ إلى الورقة 6ظ.

لقد أخذنا في الاعتبار ترتيب أسماء الأصحاب الواردة في "الدر الثمين" أرقاما مرجعية بالنسبة للنسخ المخطوطة الأربعة المذكورة كما هو موضح في الجدول(1) التالي أدناه:

– الجدول(1): *التفاوت بين أسماء وترتيب أسماء أصحاب الشاذلي بالمغرب*

الرقم المرجعي	ترتيب أسماء أصحاب الشاذلي حسب الحشايشي ووفاتهم	مخطوط 18555	مخطوط 04210	مخطوط 6556	مخطوط 1524
1	أبو عبد الله محمد الغماري (663 هـ)[48]	1	1	1	1
2	أبو عبد الله محمد القرطبي (حيا 668هـ)[49]	2	2	2	2

3	أبو العزايم ماضي بن سلطان المسروقي (ت718هـ)	3	3	3	3
4	عبد المغيث عرف الطنجي(ت680هـ)[50]	4	4	4	4
5	عبد الملك عرف الزعزاع (ت681هـ)	5	5	5	5
6	أبو حفص عمر السبتي (ت687هـ)	أبو العباس أحمد الغرابلي(ت685هـ)[51]	أحمد الغرابلي	6	أحمد الغرابلي
7	أبو عبد الله محمد الصمعي (ت686هـ)[52]	6	6	7	6
8	أبو عبد الله محمد الحبيبي (ت693هـ)[53]	7	7	8	7
9	أبو الحسن بن مخلوف (ت650هـ)[54]	8	8	44	8
10	أبو عبد الله محمد الصابوني (ت687هـ)	44	44	45	44
11	أبو الحفص أبي السوس (ت687هـ)[55]	45	45	46	45
12	إبراهيم المزوغي (ت690هـ)[56]	46	46	9	46

13	أحمد عرف اليمني (ت691هـ)	9	9	10	9
14	أبو إسحاق عرف الزواوي[57] (ت691هـ)	10	10	12	10
15	أبوسالم الرقي[58] (ت691هـ)	11	11	13	11
16	أبو عبد الله محمد الفاسي (ت659هـ)[59]	12	12	14	12
17	أبو عبد الله محمد الربيع[60] (ت661هـ)	13	13	15	13
18	أبو عبد الله سالم المزاتي (ت661هـ)[61]	14	14	16	14
19	أبو القاسم القرطبي (ت661هـ)	16	16	17	18
20	أبو عبد الله المالقي (ت662هـ)	17	17	18	15
21	أبو عبد الله محمد عرف القطاع[62] (ت663هـ)	18	18	19	16
22	إسماعيل الهنتاتي[63] (ت663هـ)	19	19	21	17

23	تاج الدين الصنهاجي (ت664هـ)	21	21	22	19
24	أبو عبد الله محمد الجباس (ت664هـ)	22	22	23	21
25	عطية[64] المسروقي (ت664هـ)	23	23	24	22
26	أبو الحسن علي القرجاني (ت681هـ)[65]	24	24	25	23
27	أبو زيد عبد الرحمن السقلي (الصقلي ت665هـ)	25	25	26	24
28	أبو زيان الداودي (ت666هـ)	26	26	27	25
29	سعدون الأسمر(ت666هـ)	27	27	29	26
30	أبو الفضل بالقاسم[66]الدباغ (ت666هـ)	28	28	30	27
31	أبو عبد الله محمد الشريف (ت666هـ)	29	29	31	28
32	أبو عبد الله القرا(في)[67] (ت666هـ)	30	30	32	29

33	عبد الله القرطبي (ت667هـ)	31	31	33	30
34	أبو عبد الله محمد عرف تراب (ت667هـ)	32	32	34	31
35	أبو العباس أحمد المزوغي (ت667هـ)	33	33	35	32
36	أبو الحسن علي الحطاب (ت671هـ)	34	35	43	33
37	أبو علي سالم التباسي (ت642هـ)	35	43	36	34
38	حسين السيجومي (ت674هـ)	43	36	37	35
39	عبد الوهاب(ت675هـ)	36	37	38	43
40	عبد الرحمن عرف الحلفاوي (ت676هـ)	37	38	39	36
41	سفيان الباجي(ت675هـ)	38	39	41	37
42	خلف المسروقي (ت676هـ)	39	41	40	38
43	عبد الرحمن الشفني (ت668هـ)[68]	41	40	42	39

44	أبو عبد الله محمد بن سلطان المسروقي(ت701هـ) 69	42	40		41
45	محمد بن عبد العزيز الزيتوني		42		40
46	هلال المسروقي				42

- **التعليق على الجدول:**

– صنف الحشايشي الأولياء الأربعين حسب مكان دفنهم حيث ما بين 1–25 دفنوا بمقبرة الجلاز[70] في تونس، في حين دفن البقية خارجها، حيث دفن ما بين 26–35 بشرف المركاض[71]، والبقية في أماكن متفرقة.

– تم ذكر أسماء سبعة وأربعين 47 وليا في جميع النسخ، أكثرها نسخة الدر الثمين بـ 46 وليا، وأقلها في نسخة 6556 بـ 43 وليا.

– اتفقت جميع النسخ على الاشتراك في ذكر واحد وأربعين وليا على الأقل.

– تراوح عدد الأولياء المذكورين في النسخ المقترحة ما بين 43–46 وليا.

– تطابق ترتيب أسماء الأولياء الخمس الأوائل بين جميع النسخ وهم: الغماري، محمد القرطبي، ماضي بن سلطان، الطنجي، والزعزاع.

– لم تتفق كل النسخ مجتمعة على ذكر ستّ أولياء وهم: أبو حفص الجاسوس، أبو سالم الرقي، الداودي، تراب، وأحمد الغرابلي، لكن ذلك لم يمنع بعض النسخ من الاتفاق والاشتراك في ذكر بعضا من هاته الأسماء، حيث اتفقت ثلاث نسخ ذات الأرقام 1855 و04210 و1524 على ذكر الولي "أحمد الغرابلي" دون غيرها.

– انفردت نسخة الدر الثمين بذكر الولي "أبو عبد الله المالقي" فقط دون غيرها.

– إن من مفارقات هذه النصوص أن الشخصيات المهمة في كونها لها الأسبقية إلى صحبة أبي الحسن الشاذلي ودورهم في ذلك كما ذكر في المصادر الشاذلية الأولى[72]، قد لا ترد أسماؤهم في المقام الأول في "مناقب الأربعين"، أو نجدها في ترتيب متدني، وهو ما يجعلنا نتساءل حول الغرض من ذكرهم بهذا الترتيب؟ أم أن الترتيب ليس مقصودا في حد ذاته، بل هناك أهداف أخرى تخص المترجم لهم وانتماءاتهم– وبخاصة إلى مدينة تونس– ودورهم في استمرارية الأفكار الشاذلية بعد رحيل شيخها إلى المشرق؟، كما تذكر بعض المصادر أسماء شخصيات خارج نطاق الأربعين التقوا بالشاذلي في تونس مثلما هو الحال لأبي عبد الله محمد بن خلف الصفاقصي (ت 654هـ/1257م)[73]، وهذا ما يثبت أن مسألة البحث في أصحاب الشاذلي في تونس عامة تتجاوز خصوصية أصحابه الأربعين.

ج– أول أصحاب الشاذلي بالمغرب ومناقب الأربعين وتقسيماتهم:

تمدنا المصادر الأولية عن حياة الشاذلي وتنقلاته وبخاصة في المصادر المبكرة مثل "لطائف المنن" و"درة الأسرار" بإشارات مقتضبة لكنها مهمة حول أسماء أصحابه الأوائل الذين صحبوه في المغرب، فقد كان الشاذلي منذ نبغ حسه الصوفي في صغره يحلم بلقاء القطب الأكبر للمتصوفة، ولهذا قرر في حدود سنة 620هـ /1223م السفر إلى المشرق للبحث عنه، فسافر من المغرب وعبر تونس ثم مصر، ومنها إلى الحجاز، ثم دخل العراق والتقى بالشيخ أبي الفتح الواسطي، وقد أخبره أن القطب الذي يبحث عنه موجود قرب مسقط رأسه ويقصد به عبد الله بن مشيش، فقفل راجعا إلى المغرب والتقى به.

وهكذا يعتقد أنه مر في سفره بتونس سواء في ذهابه وإيابه، وبالتالي تسنى له وفق هذه الرواية زيارة تونس ودخولها لأول مرة، ويفترض أن يكون ذلك في حدود سنتي 621-622هـ، رغم أن البعض رجح ذلك ما بين سنتي 610-615هـ/1213-1218م[74]، وقد حكي الشاذلي عن نفسه أنه دخل تونس وهو شاب صغير فوجد بها مجاعة شديدة، وأنه صلى الجمعة بجامع الزيتونة[75]، ولا يستبعد أن يكون تعرف إلى من سيكون رفيقه ومضيفه بافريقية عند

عودته للاستقرار بها، ونقصد به الشيخ أبا الحسن علي الحطاب، وعلى هذا الأساس فهو أول من لقيه في البلاد التونسية، وكان ذلك بعد عودته من العراق إلى المغرب الأقصى حيث أمره أستاذه ابن مشيش قبل وفاته حوالي 625هـ/1227م-أو قبلها بقليل[76]- بالنقلة إلى مدينة شاذلة، حيث "وصل إلى مدينة تونس إلى جهة مصلى العيدين فلقي حطابا من أهل شاذلة فخرج معه على نحو ما أمره الأستاذ"[77]، ولما وصل شاذلة صحبه الشيخ الصالح أبو عبد الله محمد بن سلامة الحبيبي، واستمر في صحبته مدة طويلة وبخاصة في جبل زغوان.

وتجدر الإشارة هنا إلى أمر لافت إذ على الرغم من أسبقية الحطاب إلى لقاء الشاذلي فور وصوله على البلاد التونسية ومرافقته إياه حتى مراده حسب وصية شيخه فإن ابن الصباغ لا يصرح بصحبته للشاذلي، بل يجعل العلامة الحبيبي أول من صحبه بشاذلة، وأن ذلك "إكراما وسابقة خير له"[78]، وأكد ذلك في موضع آخر بقوله "هو أول من صحب الشيخ بإفريقية ونال منه نيلا عظيما"[79]، وفي نفس الصدد يبرز لنا المؤلف أن الحبيبي على أقل تقدير هو شيخ للحطاب، ويستفاد من هذا السياق أن مقام الصحبة في نظر صاحب درة الأسرار لا يتم بمجرد لقاء الشيخ والسير معه إلى وجهة معلومة، بل يستدعي ذلك دوام الملازمة والعيش في كنف الشيخ، وهو ما حصل مع ابن سلامة الحبيبي الذي كان له السبق في أن يشهد مع الشاذلي كرامات لم تتح لغيره من بعده، مع أن مقام الصحبة محفوظ أيضا للحطاب، ودليل ذلك الكتابات المتواترة التي أقرت له كما رأينا حتى عهد الحشايشي على الأقل.

وبالعودة إلى الجدول المذكور نجد أن العلامة الحبيبي جاء ذكره في المرتبة الثامنة (8) في الدر الثمين ومخطوط 6556، بينما ذكر الحطاب في الرتبة السادسة والثلاثون (36) وهي أفضل ترتيب له في "الدر الثمين"، ويعني ذلك العشر مراتب الأخيرة أو أقل في باقي النسخ، حيث اتفقت جميعها على جعل أول الأصحاب ذكرا هو "أبو عبد الله محمد الغماري"، وفي ذلك مثال على وجود عوامل أخرى أثرت في اختيار طريقة ترتيب أصحاب الشاذلي في المغرب، وهذا يدل على الفرق بين السياق التاريخي وبين إرادة الاحتفاء بأصحاب الشاذلي في افريقية

بعد قرون من الحدث، رغم أن هذه الكتابات يستفاد منها في مناحي أخرى لدراسة تجذر التصوف الشاذلي في المنطقة.

ومما سبق يمكن تقسيم أصحاب الشاذلي في المغرب حسب ما آلت إليه أحوالهم إلى:

– الذين صحبوه في افريقية من أهل البلاد التونسية ولم يسافروا معه إلى مصر حين استقر بها أواخر عمره، وهم الغالبية العظمى مثل الحطاب والحبيبي.

– من صحبه في افريقية قادما من بلاد أخرى، كما هو شأن أبو العباس المرسي من الأندلس، وأبو عبد الله الفاسي[80]، أو كما تشير إليه نسبة بعض الأسماء كالصقلي والبجائي...

– جزء ممن صحبه في تونس سافر معه إلى مصر عند استقراره بها بقية عمره، وهؤلاء أيضا على قسمين: فمنهم من سكن مصر حتى وفاته كأبي العباس المرسي، ومنهم من عاد إلى تونس وتوفي ودفن بها مثل أبو عبد الله محمد القرطبي وخادمه ماضي بن سلطان المسروقي[81] الذي روى عنه ابن الصباغ شخصيا.

4– أصحاب الشاذلي في المشرق : استطاع أبو الحسن الشاذلي بما من الله عليه من علم ومعرفة وزهد من استقطاب الحركة الدينية والروحية في البلاد التونسية، فكثر أصحابه، وشاع أمره، فجلب له ذلك حسد العلماء، ومنهم فقيه الدولة الحفصية أبو القاسم بن البراء المهدوي[82] الذي رأى في الشاذلي تهديدا مباشرا لمكانته وزعامته، فسعى به لدى الخليفة أبو زكريا الحفصي (625-646هـ/1227-1249م) لمعاقبته وسجنه، وبعد مناظرة مستفيضة استوثق فيها السلطان براءة الشاذلي، لكن الأخير اقتنع بعدها بضرورة المغادرة المطلقة والانتقال للعيش في المشرق، فتوجه إلى الحج سنة 639هـ/1241م، لكنه ما لبث أن عاد على تونس لاستيفاء وعده للسلطان ولقاء تلميذه ووارث طريقته أبي العباس المرسي[83]، ثم جاء القرار النهائي بالاستقرار النهائي في الإسكندرية بداية من سنة 642هـ/1244م[84]، حيث وقَّفَ عليه السلطان الأيوبي سكنا في أحد أبراجها، فبدأ الشاذلي عهدا جديدا ذهبت فيه أيام المحن وأقبلت أيام المنن[85] كما قال.

ويمكن تقسيم أصحاب الشاذلي في المشرق حسب زمان ومكان صحبتهم إلى قسمين أساسيين:

أ- الذين هاجروا معه من بلاد المغرب:

كان من دلائل استمرارية الصحبة عند الشاذلي وعدم انقطاعها عنه منذ وطئت قدماه تونس حتى مغادرته للاستقرار في مصر أن أوائل أصحابه بالمشرق وفدوا معه من المغرب، ولعل ذلك من أبرز ما حظي به الشاذلي في حياته الحضور الدائم لأصحابه، وقد تجسد ذلك عند نقلته من تونس إلى مصر حيث صحبه في سفره عدد معتبر منهم، وبالتالي فهم أول أصحابه بالمشرق، وكان في مقدمتهم أبو العباس المرسي الذي سيبقى دائم الملازمة له حتى وفاته سنة 656هـ/1258م، إضافة إلى ذلك تذكر المصادر أسماء كل من الحاج محمد القرطبي وأبو الحسن البجائي وأبو عبد الله البجائي والوجهاني والخزار[86]، وكذا أبو علي السماط وأبو عبد الله محمد الناسخ[87]، والملاحظ أن أكثر من نصف هذه الأسماء لم تذكر في مناقب الأربعين، مما يعزز القول بأن مسألة الأربعين هي مجرد تقليد اصطلح عليه في الكتابات المتأخرة، وأن العديد ممن صحب الشاذلي بالمغرب لم يدون فيها اسمه بتاتا، مما يؤكد على نسبية الأمر.

إن هؤلاء المغاربة الذين صحبوا الشاذلي إلى المشرق لم يستقروا معه جميعا في الإسكندرية، حيث نجد منهم من انتقل للعيش بمدن مصرية أخرى كحال الشيخ أبو الحسن البجائي الذي استقر

ودفن بمدينة أشموم الرمان[88]، وأبو عبد الله البجائي الذي نسب في بعض أحواله إلى مدينة قوص[89].

ويضاف إلى هؤلاء خادم الشيخ الشاذلي وملازمه حتى وفاته ماضي بن سلطان المسروقي، ولا يعرف ما إذا كان ممن صحبه في سفره الأخير إلى الإسكندرية، لكن المؤكد أنه انتقل من تونس إلى الإسكندرية، واستمر في صحبته بقية حياته.

ومن بين هؤلاء من عاد إلى تونس سواء في حياة الشيخ كما هو الشأن مع الشيخ محمد القرطبي الذي وجهه الشاذلي إلى تونس لتربية أبا عبد الله بن سلطان المسروقي أخ ماضي بن

سلطان، فعاد أدراجه إلى قرية المسروقين، ثم اصطحبه معه إلى تونس، حيث استقرا بها يشتغلان بالخياطة، ولا يستبعد أن يكون أبو عبد الله قد زار مصر باعتبار أن السكندري يشير إليه في حديثه عن شيخه المرسي بعبارة: "وأخبرني أبو عبد الله بن سلطان"[90]، مما يفتح المجال لدراسة جوانب متعددة من هذه الشخصية الشاذلية الفذة.

ومنهم من عاد على تونس بعد وفاة الشاذلي ونخص بالذكر خادمه ماضي بن سلطان كما أشرنا إليه سابقا.

ب– من صحبه بديار مصر:

على غرار ما هو الشأن عليه في تونس سواء في استقراره أو ترحاله، فقد حظي الشاذلي بعد سكنه أرض مصر بالعديد من الأصحاب وبخاصة من أهل الإسكندرية، لأنه اختص بالإقامة فيها حتى وفاته، وقد جاء ذكر أغلبهم في لطائف المنن، ويؤكد ذلك على قدرة الشاذلي القوية على استقطاب مزيد من الأصحاب كلما حل وارتحل، ومن هؤلاء الذين ذكرهم السكندري معا في نفس السياق–كما رأينا آنفا– نجد في مقدمتهم الشيخ عبد الله بن منصور المشهور باسم مكين الدين الأسمر(610-692هـ/1213-1292م)، وهو من أجل أصحاب الشاذلي، وقد جعله شيخه في عداد "الأبدال السبعة"، كما أُثِر عن الشاذلي قوله فيه "إنه ليكاشفني، وأنا مع أهلي وعلى فراشي"[91]، إضافة إلى أسماء كل من الشيخ عبد الحكيم والشريف البوني وعثمان البوزيجي وأمين الدين جبريل[92].

وفي مواضع أخرى ذكر ابن عطا الله شخصيات أخرى صحبت الشاذلي في مصر، منهم أبو زكريا يحي البلنسي الذي "صحب الشاذلي ثم سافر إلى الأندلس"[93]، مما يؤكد أن بعض الأصحاب ليسوا مصريين بل وفدوا على البلاد من بلدان أخرى، برسم الحج وطلب العلم والتجارة وغيرها، ثم يعودون إلى بلدانهم، ومنهم من آثر الاستقرار بمصر كما فعل الشاذلي وبعض أصحابه، كما ذكر أيضا أبو الحسن الجزيري الذي "كان من أصحاب الشيخ أبي الحسن"[94]، وهناك جملة ممن لقيهم الشاذلي ورغم عدم وجود ما يشير إلى صحبتهم إلا أنه تعامل معهم في أطر متعددة، فهذا رشيد الدين بن الرايس كان ممن يسأل الشاذلي عند

الخصومة، وأكد السكندري أن والده كان ممن يدخل على الشاذلي ونقل له بعض أخباره[95]، وكذلك ثبت أن عبد القادر النقاد كان ممن يدخلون على الشاذلي وقد شهد له هذا الأخير أنه "ولي الله"[96]، مما يؤشر على اتساع دائرة علاقات الشاذلي خارج مجالات الصحبة وانفتاحه على شخصيات صوفية معروفه.

وقد ذكرت مصادر ومراجع أخرى بعضا ممن صحب الشاذلي بمصر، ولعل من أبرزهم في الإسكندرية نجد أبو القاسم بن منصور بن يحي المالكي القباري الإسكندراني (ت662هـ /1263م) الذي انقاد على الشاذلي وكان من خواص أصحابه[97]، ومنهم أبو عبد الله الشاطبي(ت673هـ/1274م) نزيل الإسكندرية، وكان ممن يترضى عن الشاذلي[98]، دون أن ننسى صهره أبا بكر (أبا الفضل-أبا الفضائل) بن عرام الربعي الأسواني الإسكندراني (620-691هـ/1223-1291م) إذ أنه إضافة إلى صحبته للشاذلي وشهادته له بالولاية فإنه أيضا تزوج من ابنته[99].

ومن غير الإسكندرية يحضرنا على سبيل المثال أبو عبد الله السائح(ت684هـ/1285م) ، واسمه الكامل سراج الدين أبو حفص عمر بن محمد المغربي مولدا الدمنهوري دارا ووفاة، حيث ورد إلى دمنهور وأخذ الطريق عن شيخه الشاذلي وصار خليفته على فقرائها، وقصة هذا السائح تحيلنا إلى البحث في قضية بالغة الأهمية تعنى بأصحاب الشاذلي وخلفائه في مختلف المدن المصرية ودورهم في نشر الأفكار الشاذلية بين فئات المجتمع وترسيخها واستمراريتها، فأبو عبد السائح بعد وفاته دفن في زاويته في دمنهور مما جعل مقامه مشهورا بها[100]، ولنا أن نتخيل تعميم هذه الإستراتيجية في كل المناطق ونتائجها على المدى القريب والبعيد.

ج- مكانة الشاذلي وسمعته في مصر: لقد كان الإقبال على الشاذلي وطريقه العلمي والصوفي بمصر سريعا وهائلا فبعد أربع سنوات فقط من استقراره بالإسكندرية خرج مع الشاذلي برسم الحج على البقاع المقدسة أكثر من مائتي شخص منهم سبعون من العلماء كما سجلته إحدى المراسلات إلى أحد أصحابه بتونس[101]، فهذه السمعة الطيبة التي اكتسبها في فترة وجيزة جعلت دائرة أصحابه تتسع يوما بعد يوم، بل اتسع ذلك الحضور ليشمل كبار علماء

العصر في مصر ممن كانوا يحضرون دروسه كما أن نشاط الشاذلي الدؤوب الذي لا يقتصر على مقر إقامته في الإسكندرية، جعل صيته يبلغ الآفاق حتى اقترن ذكره بمشاهير علماء عصره في مصر، وكان المسجد المكان الأساسي لإلقاء دروسه ومواعظه، وذلك تأكيدا منه على أهمية وحدة الجماعة الإسلامية في ظروف عصيبة تميزت باشتداد الحملات المغولية والصليبية على ديار الإسلام وأهمية المسجد في تلك الوحدة[102]، وتذكر المراجع أنه كان يلقي دروسه في مسجد المقياس بجزيرة الروضة أو في المدرسة الكاملية بالقاهرة التي بناها السلطان الكامل محمد الأيوبي[103].

لقد طوى أبو الحسن الشاذلي مراحل طويلة في إعداد نفسه، بما يؤهله للقيام بدوره التربوي والإصلاحي على أحسن وجه، وذلك ما جعله يعظم في نظر من يجتمع به أو يدارسه ونال منزلة وقدرا معتبرا بين علماء عصره، فقد أورد السكندري عن مكين الدين الأسمر أنه حضر "بالمنصورة في خيمة اجتمع فيها الشاذلي بأربعة من كبار علماء مصر في زمانهم يتقدمهم الشيخ الإمام مفتي الأنام عز الدين بن عبد السلام(577-660هـ/1181-1262م)، والشيخ مجد الدين بن تقي الدين علي بن وهب القشيري المدرس(581-667هـ/1185-1268م)، والشيخ محي الدين سراقة(592-633هـ/1196-1264م)، والشيخ مجد الدين الاخميمي(ت651هـ /1253م)، ورسالة القشيري تقرأ عليهم، وهم يتكلمون، والشيخ أبو الحسن صامت إلى أن فرغ كلامهم فقالوا: يا سيدي نريد أن نسمع منك. فقال: أنتم سادات الوقت وكبراؤه، وقد تكلمتم. فقالوا: لابد أن نسمع منك. قال: فسكت الشيخ ساعة، ثم تكلم بالأسرار العجيبة والعلوم الجليلة. فقام الشيخ عز الدين وخرج من صدر الخيمة، وفارق موضعه وقال: اسمعوا هذا الكلام الغريب القريب من الله!"[104].

إن هذه الرواية لأحد أكثر أصحاب الشاذلي قربا منه تدل على حسن القبول والإعجاب ولفت الأنظار الذي حظي به شيخه في مصر، ونركز هنا خصوصا على شهادة سلطان العلماء العز بن عبد السلام المشهور بصرامة كتاباته ومواقفه وفتاويه، وقوله الحق في أصعب المواقف مع الأمراء المماليك، ويقال أنه كان أيضا ممن ينكرون على الشاذلي في أوائل عهده به قبل أن

يقتنع بعلمه[105]، فمن يعرف قدر ومنزلة ومقام العز وصدقه وإخلاصه في الدين يدرك مقدار هذه الشهادة، وأنها لم تأت من فراغ، لولا تضلع أبي الحسن الشاذلي في العلوم الشرعية[106]، والتزامه في كلامه بعدم الخروج عنها، إضافة إلى جلوسه صامتا متأدبا متواضعا حتى ألح عليه القوم في الكلام، ولما أُذِنَ له أبان عن اتزان كلامه، وعذوبة منطقه، وحسن بيانه، وفصاحة لسانه، وعمق فهمه وإدراكه، وهو ما جعله في النهاية يفتك إعجابهم وينال قبولهم ورضاهم.

ولم يقتصر الأمر على ذكرنا إذ يعدد صاحب شجرة النور الزكية العديد من أكابر العلماء الذين كانوا يحضرون مجلس الشاذلي كابن الصلاح(577-643هـ/1181-1245م)، وابن الحاجب(570-646هـ/ 1174-1249م)، وعبد العظيم المنذري(581-656هـ/1185-1258م)، وابن عصفور(597-669هـ/1200-1271م)، وابن دقيق العيد(625-702هـ/1228-1302م)، وبدر الدين بن جماعة(639-733هـ/1241-13333)، والعَلَم ياسين تلميذ محيي الدين بن عربي، ومن لا يحصى كثرة، وهؤلاء في الحقيقة مع من سبق ذكرهم يعدون من أبرز العلماء ليس في مصر فحسب، بل في سائر الأمة الإسلامية في عصرهم، وقد برعوا في علوم شتى، مما يؤكد أن الشاذلي كان جامعا لعلوم الظاهر لاسيما التفسير والحديث[107]، فقد قال عنه الشيخ تقي الدين بن دقيق العيد: "ما رأيت أعرف بالله منه"[108]، إضافة إلى علوم الباطن باعتبار تكوينه الصوفي.

5- دور الأصحاب في الحفاظ على إرث الشاذلي: إن المتأمل للتراث الشاذلي منذ وفاة صاحبه إلى اليوم يقف على حقيقة ذلك الزخم المتواتر الذي ساهم في انتشار الطريقة الشاذلية وأفكارها، بل وقدرتها على استيعاب مختلف التيارات الصوفية التي عاصرتها أو سبقتها، وراح المجال الصوفي-إن صح التعبير- "يتشذل" يوما بعد يوم، حتى طغت التعاليم والطقوس الشاذلية على كثير من المجتمعات في المغرب والمشرق، وغدت أغلب الطرق الصوفية حينها فرعا من الشاذلية، ولعل جزء كبير من أسرار هذا التمكين إنما يعود إلى أصحاب الشاذلي الذين نقلوا للأجيال اللاحقة صور مشرقة سواء من خلال الحفاظ على مقام الشيخ أبي الحسن في حياته، وكذا تبليغ أقواله وسلوك أفعاله من بعده، وقد حفلت الكتابات المنقبية التي تناولت سير هؤلاء

الأصحاب العديد من المواقف والأقوال والأفعال التي استمر صداها لقرون من الزمن، وكانت عاملا لزيادة نفوذ المتصوفة وتمتعهم بحظوة متزايدة لدى السلطة وبين فئات المجتمع منذ نهاية القرن 7هـ/13م، ولنا في ذلك أمثلة عديدة في المغرب والمشرق، وسنكتفي بمثال واحد عن كل جهة.

أ- أبو العباس المرسي سيد الأصحاب في المغرب والمشرق:

سواء في المشرق أو المغرب لا يعلو الحديث في أصحاب أبي الحسن الشاذلي قاطبة عن وارث طريقته وصفي ولايته الشيخ أبو العباس المرسي، فقد كان مثل شيخه لم يؤلف كتبا بعينها، وقد علل السكندري ذلك بقوله: "أن علوم هذه الطائفة علوم التحقيق وهي لا تتحملها عقول الخلق"[109]، ولكنه خلف أتباعا وأقوالا وأوردة حفظها تلاميذه من بعده وبخاصة تلميذه النجيب ابن عطاء الله السكندري الذي ألف فيه كتاب "لطائف المنن"، وفيه نقل على لسان المرسي الكثير من الأقوال والأفعال والمواقف النادرة التي حصلت في أيام صحبته لأستاذه أبي الحسن الشاذلي، حتى قيل إنه لم يرث علم الشيخ أبي الحسن الشاذلي غيره، وهو أجل من أخذ عنه الطريق[110]، وكما قال ابن الملقن: "ولم يكن للشيخ أبي العباس المرسي شيخ سوى الشيخ أبي الحسن الشاذلي خاصة"[111].

إن الحديث عن المرسي واسع جدا سعة علمه وتأثيره ودوره الريادي في التمكين للأفكار الشاذلية في حياته ومن خلال أصحابه من بعده، وبخاصة الشيخ الفذ نادرة عصره ابن عطاء الله السكندري المشهور بكتابه "الحِكَم(العطائية)"، كما ألف أيضا كتاب "لطائف المنن في مناقب الشيخ أبي العباس وشيخه أبي الحسن" خصيصا للاحتفاء بشيخه المرسي، لكن ذلك لم يمنعه من تضمينه محطات مهمة من حياة شيخ شيخه الشاذلي وأقواله وأفعاله، بأسلوب غاية في الإبداع والإثارة والتشويق، وفي ذلك يقول محقق الكتاب الشيخ عبد الحليم محمود: "وابن عطاء الله هو الذي كان له الفضل الكبير في بيان كثير مما نعرفه الآن من آثار أبي العباس المرسي، وفي بيان الكثير أيضا مما نعرفه عن القطب الكبير الحجة أبي الحسن الشاذلي"[112]، وإذا كان كتاب

لطائف المنن من أوائل المصادر المشرقية حول سيرة الشاذلي والمرسي فإن كتاب "درة الأسرار" لابن الصباغ من أوائل المصادر المغربية التي جمعت سيرة الشاذلي وأصحابه ومنهم المرسي.

وهكذا فمسألة وراثة المرسي للشاذلي كانت محسومة في حياة شيخه، وقد أخبره بذلك في أول لقاء بينهما في تونس حين قدم المرسي من الأندلس، بل حتى قبل قدومه كان قد رفع إليه كشفا منذ عشرة أعوام[113]!، ولطالما عَبَّر الشاذلي لصاحبه النجيب طوال رفقتهما عن تطابق أفكارهما وأنهما في الحقيقة شخص واحد، فقد نقل المرسي عن شيخه قوله له: "يا أبا العباس ما صحبتك إلا لتكون أنت أنا وأنا أنت"[114]، وحين كُفَّ بصر الشاذلي دخل عليه المرسي فقال له: "يا أبا العباس انعكس بصري في بصيرتي فصرت كلي مبصرا، بالله الذي لا اله إلا هو ما أترك في زماني أفضل من أصحابي، وأنت والله أفضلهم"[115]، وتزداد وضوحا وتأكيدا يوم وفاته حيث كان خادمه ماضي بن سلطان حاضرا، ونُقِل عنه أن الشيخ الشاذلي قبيل وفاته جمع ممن حضر من أصحابه وأوصاهم بوصايا عديدة، ثم خلا بأبي العباس المرسي واختصه بوصايا لوحده، وبعدها أعلن للجميع أن عليهم "بأبي العباس المرسي فإنه الخليفة من بعدي، وسيكون له بينكم مقام عظيم"، وبعد دفن الشيخ الشاذلي اختلف أصحابه في الرجوع أو إكمال طريق الحج، فظهرت قيادة المرسي سريعا بأن سارع إلى إنفاذ وصية شيخه بإكمال طريق الحج، قال ماضي بن سلطان: "وتوجهنا ورأينا تهوينا وبركات ورجعنا صحبته وظهر من بعده ظهورا عظيما"[116]، وبذلك يبدأ عصر المرسي الحافل بالكرامات، وأصبح لأهل الإسكندرية اعتقاد هائل فيه كما ذكر جل من ترجم له.

لقد كان المرسي بحق الجسر المتين الذي حفظ كثيرا من تراث الشاذلي، ثم ساهم بفعالية في إثرائه لقرون، وقد شهد له ابن عطاء الله أنه "كان شديد التعظيم لشيخه أبي الحسن حتى إنك كنت تشهد منه أنه لا ثبات منه لنفسه معه"، ويتضح ذلك من خلال ما نقل عنه من أقوال وأفعال وأذكار ووصايا في قضايا التصوف وغيره، فمن ذلك ما نقل عن شيخه أنه كان يقول: "من لم يتغلغل في هذه العلوم مات مصرا على الكبائر وهو لا يعلم"[117]، وهذا القول يؤكد ارتباط التصوف بالشرع وأنه من العلوم الشرعية[118] التي وجب تحصيلها، كما نَقَل عن الشاذلي

أيضا قوله: "اِصْحَبُوني ولا أمنعكم أن تصحبوا غيري فإن وجدتم منهلا أعذب من هذا المنهل فردوا"[119]، وفي ذلك إقرار لحرية المريد في اختيار شيخه، وعن المرسي أن الشيخ أبو الحسن قال "من ثبتت ولايته من الله تعالى لا يكره الموت"[120]، أي أن الولي شانه شأن أي مؤمن صادق يتوق إلى لقاء ربه عز وجل مصداقا لقوله تعالى: "فتمنوا الموت إن كنتم صادقين"، وهكذا نلمس تجانسا وتطابقا في سيرة كل من المرسي وشيخه اعتقادا وقولا وعملا، ولا يسع المجال لذكر كل المنقولات، ولكن ارتأينا أن نختم مما نقل المرسي عن الشاذلي قوله: "الوَرَع نِعْمَ الطريق لمن عُجِّل له ميراثه وأُجِّل ثوابه"[121]، حيث كان الشاذلي ممن عجل له ميراثه على يد تلميذه وصاحبه وخليفته أبا العباس المرسي فكان بحق مرآة عاكسة لحقيقة وجوهر الأفكار الشاذلية التي تناقلتها الأجيال وانتشرت في الآفاق.

ب- أبو سالم التباسي:

في بلاد المغرب(تونس) احتفظت لنا المصادر بأسماء أكثر من أربعين وليا صحبوا الشاذلي- كما رأينا آنفا-، ومن بينهم أبو سالم التباسي(ت 642هـ/1244م) الذي استمر في صحبته منذ عودته من الحجاز حتى وفاته، وقد أشرف الشاذلي بنفسه على دفنه[122] قبل انتقاله للاستقرار النهائي في مصر، وقد ضرب التباسي أروع الأمثلة في الذوذ عن شيخة الشاذلي في فتنته مع الفقيه القاضي ابن البراء حيث "أخذ يحمي... عرضه في غيبته"، وقد كاد يدفع ثمن ذلك غاليا "وأفتوا فيه بالرجم"، بزعم أنه "سب أهل العلم والحديث"[123]، وقد ساهم الشاذلي أيضا في حماية التباسي من الأعراب الذين كادوا يأخذونه بذنب ولده[124].

وإضافة إلى هذا الموقف الشجاع الدال على عمق التعلق بأستاذه فقد نقل التباسي طائفة من الوصايا القيمة عن شيخه الشاذلي، وإن كانت قليلة العدد، فإنها قيمة في مراميها، حيث دعاه إلى ملازمة كل من عرف الله وألا يعرف من الناس إلا ما يزداد به رحمة الله، وحذره "من أهل البدع والجهل وسوء الخلق وأهل الدنيا والدخول فيما لا يعنيك"، وأوصاه بتجنب "تخيلات شياطين الإنس...فإن معرفة الناس تقسي القلب لاسيما أهل الانتقاد"، وفي موضع آخر بين له حقيقة المسلم والمؤمن[125]، وهي وصايا لا تخرج في إطارها العام عن الكتاب والسنة، وأهميتها

تكمن في بساطتها وبعدها عن كل تعقيد كما هو الشأن في بعض الأدبيات الصوفية الأخرى، مما يفسر أهمية الجانب السلوكي في طريقة الشاذلية.

خاتمة:

وفي الأخير نخلص إلى أن موضوع أصحاب الشاذلي في المشرق والمغرب قد طاف بنا في جوانب مهمة، ومنها جعلنا ندرك أن مسألة "الأربعين" من الأسرار المدهشة في التراث الإسلامي عامة والصوفي الشاذلي خاصة، وقد رأينا مدى حضورها في التراث الشاذلي، وقد ساهم ذلك بطريق أو بأخرى في نشره وترسيخه في أذهان العامة والخاصة لارتباطها بجذور موغلة في القرآن الكريم والسنة الشريفة.

إن دائرة أصحاب الشاذلي أوسع من أن يحصرها عدد سواء في المغرب أو المشرق، فقد يكون المجهول منهم أكثر من المعلوم، والمقام في هذه الدراسة الموجزة لم يسمح بكثير من التفصيل، لكنها تفتح آفاقا لدراسات أخرى عمودية تركز بالتفصيل على سيرة كل شخصية من أصحاب الشاذلي، سواء ارتبطت بدائرة الأربعين، أو في سياق آخر.

لقد عاش بعض أصحاب الشاذلي على خطى شيخهم من حيث اتخاذ الأصحاب، وجعلهم مرآة لمسارهم الفكري الصوفي كأبي العباس المرسي الذي يستحق عناية ودراسة لا تقل في أهميتها عن دراسة شيخه، لما خلفه من تأثير على المستوى المكاني والزماني في تطور الطريقة الشاذلية، ونشر أفكارها وتدوين تراثها.

وصفوة القول أن الحديث عن أصحاب الشاذلي يبقى دون ريب من المواضيع التي تحتاج إلى مزيد من الدراسات التي بإمكانها الكشف عن جوانب عديدة مرتبطة بحياتهم، سواء فيما يخص علاقاتهم مع الشيخ الشاذلي، أو تفاعلهم مع السلطة والمجتمع، أو مساهماهم في خدمة المشروع الشاذلي علما وسلوكا وطريقة.

. هوامش:

[1] – أبو الحسن الشاذلي(593-656هـ/1197-1258م): علي بن عبد الله بن عبد الجبار بن يوسف بن هرمز الشاذلي، رأس الطائفة الشاذلية وصاحب الأوراد المنسوبة إليه، ولد في غمارة بالمغرب الأقصى، وذكر

البعض أن ولادته كانت سنة 591هـ، في حين ذهب آخرون إلى أبعد من ذلك في سنة 571هـ، لكن يستخلص من كونه عاش ثلاثة وستين سنة كما عند ابن الصباغ أن مولده عام593هـ هو الأقرب للصواب، ونشأ في بني زرويل (قرب شفشاون)، سكن شاذلة في تونس فنسب إليها، كما رحل إلى بلاد المشرق فحج ودخل العراق، ثم عاد إلى المغرب وتونس، واستقر أخيرا بالإسكندرية بمصر، وتوفي ودفن بصحراء عيذاب في طريق الحج، نسب إلى أدارسة المغرب، لكن تم التشكيك في نسبه وبخاصة من قبل الذهبي، لم يؤلف كتبا بعينها في حياته، فكل ما نسب إليه من نسخ أصحابه من بعده. انظر لترجمته: ابن عطا الله السكندري، لطائف المنن، تحقيق: عبد الحليم محمود، دار المعارف، ط3، القاهرة 2006م، ص ص 75-89. ابن الصباغ، درة الأسرار، تونس 1304هـ، ص ص 4-25. ابن الصباغ، درة الأسرار، مصر 2000م، ص ص 22-42. ابن الطواح، سبك المقال لفك العقال، تحقيق: محمد مسعود جبران، منشورات جمعية الدعوة الاسلامية العالمية، ط2، بنغازي 2007م، ص ص 88-95. الذهبي تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، ت: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، ط1، بيروت 1419هـ /1999م: 48/273-274. الصفدي، الوافي بالوفيات، تحقيق: أحمد الارناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث العربي، ط1، بيروت 2000م: 21/141-143. ابن الملقن، طبقات الأولياء، تحقيق: نور الدين شريبه، مكتبة الخانجي، ط2، القاهرة 1994 ، ص ص 458-459. الشعراني، الطبقات الكبرى (لواقح الأنوار القدسية في مناقب العلماء والصوفية)، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة 1426هـ/2005م: 2/8-26. الزبيدي، تاج العروس(شدل)، ت: عبد الفتاح الحلو، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت 1418 هـ/1997م: 29/252-254. الكوهن الفاسي، جامع الكرامات العلية في طبقات السادة الشاذلية(طبقات الشاذلية الكبرى)، دار الكتب العلمية، بيروت 1426هـ/2005م، ص ص 19-59.

[2] – إذا كانت "الترجمة تحديد للشخص في الزمان والمكان" فإنها بالنسبة للمتصوف "خارج حدود الزمان والمكان"، مما جعل البعض يدعو إلى ضرورة اتخاذ منهاج خاص في بناء وصياغة الترجمة المنقبية. انظر: عبد السلام شقور، سيرة أبي الحسن علي شقور أو إشكال ترجمة متصوف (ضمن الندوة 7: أبو الحسن الشاذلي وتراثه)، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة عبد المالك السعدي– تطوان، مطبعة ألطو بريس، طنجة 2002م ، ص 177.

[3] – هشام عبيد، تونس وأولياؤها الصالحون في مدونة المناقب الصوفية، مركز النشر الجامعي، تونس 2006م، ص 328.

[4] – نصر الجويلي، أبو الحسن الشاذلي، جسر التواصل بين المغرب والمشرق، مجله الهداية، العدد: 91، المجلس الإسلامي الأعلى، تونس 1435هـ/2014م، ص 70.

[5] – انظر: الشعراني، الطبقات الكبرى: 26/2. محمد الشيخ، المتصوفة ومسألة الكتابة، مجلة مدارات فلسفية، العدد: 19، الجمعية الفلسفية المغربية، الرباط 2010م، ص 66.

Samia Touati, The Wanderings of AbÛ Al-Hasan Al-Ŝadili (D.1258) According To Ibn 'Ata' Allah's LATA'if Al-Minan And Ibn Al-Sabbag's Durrat Al-Asrar, Center For Arab Studies Romano-Arabica XVIII, editura universitâtii din bucuresti, 2018, p 228.

[6] – السائح علي حسين، لمحات من التصوف وتاريخه، طرابلس 1423هـ، ص 321.

[7] – ابن دريد، جمهرة اللغة(ب ح ص)، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين، ط1، بيروت 1987م: 280/1

[8] – محمد قلعجي، معجم لغة الفقهاء، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت 1988، ص 271. وفي موضع آخر ص 224 ذكر قلعجي أن الرفاق هم "المصاحبون في السفر ونحوه".

[9] – سورة الأنبياء: 43.

[10] – أبو هلال العسكري، الفروق اللغوية، مؤسسة النشر الإسلامي، ط1، قم 1412هـ، ص 308.

[11] – ابن منظور، لسان العرب(صحب)، دار صادر، ط1، بيروت: 520/1.

[12] – محمد قلعجي، مرجع سابق ، ص 145.

[13] – ابن منظور، لسان العرب (تلمذ)،: 478/3.

[14] – الزبيدي ، تاج العروس (تلمذ): 380/9.

[15] – قلعجي، مرجع سابق، 423.

[16] – من ذلك قوله صلى الله عليه وسلم من حديث أبي هريرة: "...أنتم أصحابي، وإخواننا الذين لم يأتوا بعد...". انظر: مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم (كتاب الطهارة)، دار المغني، ط1، الرياض 1998م، ص 151.

[17] – وردت أمثلة قرآنية عديدة تدل على معاني كلمة الأصحاب كأتباع الرسل والصالحين وأهل الخير والشر على حد سواء، ومن ذلك قوله تعالى: "فلما تراءى الجمعان قال أصحاب موسى إنا لمدركون"(الشعراء: 61). وقوله تعالى: "أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا" (الكهف: 9). وقوله

تعالى: "أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون" (يونس: 26). وقوله تعالى: "وإن كان أصحاب الأيكة لظالمين" (الحجر: 78). وقوله تعالى: "وما جعلنا أصحاب النار إلا ملائكة..." (المدثر: 31)، وغيرها كثير.

[18] – ابن عطاء الله ، لطائف المنن، ص 77.

[19] – من أمثلة ذلك قوله تعالى: "وإذ واعدنا موسى أربعين ليلة" (البقرة: 51)، وفسرها ابن كثير بأنها "ذو القعدة بكماله وعشر من ذي الحجة" انظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط2، : 261/1. وقوله تعالى: "فإنها محرمة عليهم أربعين سنة يتيهون في الأرض" (المائدة: 26)، وغيرها.

[20] – المشهور أن النبي عليه الصلاة والسلام أوحي إليه وهو ابن أربعين سنة، قال ابن منظور: "ويحتمل أن يكون بلوغ الأربعين غاية الاستواء وكمال العقل" ابن منظور(سوا): 408/14. وقد ورد هذا العدد في أكثر من حديث مروى عنه، ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم: "إن أحدكم يجمع في بطن أمه أربعين يوما..." البخاري، صحيح البخاري(كتاب أحاديث الأنبياء–باب خلق آدم وذريته)، دار ابن كثير، ط1، بيروت–دمشق 1423هـ/2002م، ص 819. وكذا قوله: "من قتل نفسا معاهدا لم يَرِحْ رائحة الجنة وإن ريحها ليوجد من مسيرة أربعين عاما" البخاري(كتاب الديات–باب إثم من قتل ذِميا بغير جرم)، ص 1710. وغيرها.

[21] – من ذلك قصة علي بابا والأربعين حرامي المشهورة في التراث العربي.

[22] – محمد البهلي النيال، الحقيقة التاريخية للتصوف الإسلامي، دار آفاق، ط2، تونس 2013، ص ص 89-90.

[23] – أبو نعيم الأصفهاني، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت 1409هـ/1988م: 173/4. وقال الأصفهاني عن الحديث أنه: غريب من طريق الأعمش.

[24] – أحمد بن حنبل، المسند (مسند علي بن أبي طالب)، شرحه وصنع فهارسه: أحمد محد شاكر، دار الحديث، ط1، القاهرة 1995م: 550/1-551. وقال شاكر في الإحالة أن: "إسناده ضعيف لانقطاعه".

[25] – مثال ذلك الحديث المنسوب في روايته إلى أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "الأبدال أربعون رجلا وأربعون امرأة كلما مات رجل أبدل الله رجلا مكانه وإذا ماتت امرأة أبدل الله امرأة مكانها"، وقد أشار ابن الجوزي أن لا شيء يصح في هذا الحديث. انظر: الخلال، كرامات الأولياء، تحقيق:

نشأت بن كمال المصري، المكتبة الإسلامية، القاهرة 2010م، ص 303. ابن الجوزي، الموضوعات، تحقيق: عبد الرحمن محمد عثمان، المكتبة السلفية، ط1، المدينة المنورة 1966م: 152/3.

[26] – أحمد النقشبندي الخالدي، جامع الأصول الطرق الصوفية، تحقيق أديب نصر الله، مؤسسة الانتشار العربي، ط1، بيروت 1997م، ص 14، 19. وقد نسب إلى الشاذلي قولا يحصر فيه عدد الأبدال في سبعة منها قوله: "الشيخ مكين الدين الأسمر أحد السبعة الأبدال". انظر: الكوهن الفاسي، جامع الكرامات العلية في طبقات الشاذلية(طبقات الشاذلية الكبرى)، دار الكتب العلمية، ط2، بيروت 2005م، ص 86.

[27] – ذكر ابن كثير في تفسيره حديثا من طريق عبادة بن الصامت عن الرسول صلى الله عليه وسلم أنه قال: "الأبدال في أمتي ثلاثون بهم تقوم الأرض...". انظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم:670/1.

[28] – ما ذكرنا من استدلالات حول مسألة الأربعين والأبدال يخص التراث الصوفي بما له وما عليه، فمن علماء الأمة من أنكر أصلا ذلك قال ابن القيم "أحاديث الأبدال والأقطاب والأغواث والنقباء والنجباء والأوتاد كلها باطلة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم". انظر: ابن القيم، المنار المنيف في الصحيح والضعيف: ص136.

[29] – ابن عربي الفتوحات المكية 467/2. أحمد النقشبندي، مصدر سابق، ص 14.

[30] – مصداقا لقوله تعالى: "وإذ واعدنا موسى أربعين ليلة ثم اتخذتم العجل من بعده وأنتم ظالمون" (البقرة: 51) ، وكذا قوله تعالى: "وواعدنا موسى ثلاثين ليلة وأتممناها بعشر فتم ميقات ربه أربعين ليلة" (الأعراف: 142)".

[31] – ابن عطاء، الله لطائف المنن، ص 76.

[32] – ابن الصباغ، درة الأسرار وتحفة الأبرار، تونس 1304هـ، ص 13. وسنواصل استخدام طبعة تونس لأنها أكثر شمولا.

[33] – محمد الحشايشي، التعريف بأبي الحسن الشاذلي وأصحابه الأربعين، ت: أحمد الطويلي، المطبعة العصرية التونسية، ط2، تونس 1421 هـ /2000م، ص 43.

[34] – أبو إسحاق إبراهيم الهنتاتي، باب في تعريف أولياء الله الأربعين أصحاب الشيخ الولي الصالح سيدي أبو الحسن الشاذلي...، مخطوط مجموع رقم: 18555، دار الكتب الوطنية، تونس، ورقة 7و. هشام عبيد، نشأة الطريقة الشاذلية، ص 201.

[35]– أبو إسحاق إبراهيم الهنتاتي، التعريف بالأولياء الأربعين، مخطوط رقم: 6556، دار الكتب الوطنية، تونس، ورقة 1ظ.

[36] – أبو العباس المرسي (616-686هـ/1219-1287م): أحمد بن عمر بن محمد، الشيخ الإمام العالم الزاهد الكبير، العارف بالله شهاب الدين أبو العباس الأنصاري المرسي السكندري، وارث شيخه أبي الحسن الشاذلي في التصوف، له كرامات وأحوال مشهورة عنه، وكان للناس فيه اعتقاد هائل لاسيما أهل الإسكندرية، ومن أشهر تلاميذه ابن عطا الله السكندري. انظر: ابن الملقن، طبقات الأولياء، ص ص 418-420. الصفدي، الوافي بالوفيات: 173/6. الشعراني، الطبقات الكبرى: 26/2-40. الزركلي: 186/1.

[37] – ابن عطاء(عطا) الله السكندري (ت 709هـ/1309م): أحمد بن محمد بن عبد الكريم، أبو الفضل، تاج الدين، من أشهر علماء التصوف الشاذلي ومن أولهم كتابة وتأليفا فيه، كان من خصوم شيخ الإسلام ابن تيمية، توفي بالقاهرة. اشتهر بكتاب "الحكم العطائية" الذي ألفت حوله عديد الشروحات، وكذا كتاب "لطائف المنن في مناقب المرسي وأبي الحسن" وهو أول كتاب مصدري موثوق في المناقب الشاذلية، إضافة إلى مؤلفات أخرى لا تقل أهمية. انظر: اليافعي، مرآة الجنان وعبرة اليقظان، اعتناء خليل المنصور، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت 1417هـ/1997م: 185/4. الشعراني، الطبقات الكبرى: 41/2. علي بن محسن الصعيدي، تعطير الأنفاس بمناقب سيدي أبي الحسن الشاذلي وسيدي أبي العباس، مخطوط رقم: ، دار الكتب الوطنية، تونس، ورقة 91و-ورقة 92ظ. الزركلي، الأعلام: 221/1-22.

[38] – محمد البهلي النيال، المرجع السابق، 166.

[39] – البشير الريسوني، أبو الحسن الشاذلي والقطبانية (ضمن الندوة 7: أبو الحسن الشاذلي وتراثه)، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة عبد المالك السعدي- تطوان، مطبعة ألطو بريس، طنجة 2002م، ص 157.

[40] – ابن عطاء الله، لطائف المنن، ص 88. علي بن محسن الصعيدي الرميلي، تعطير الأنفاس بمناقب سيدي أبي الحسن الشاذلي وسيدي أبي العباس، مخطوط رقم: دار الكتب، تونس ورقة 24ظ.

[41] - قال ابن خلدون في القرن8هـ/14م عن حدود بلاد المغرب: "وأما العرف الجاري لهذا العهد بين سكان هذه الأقاليم فلا يدخل فيه إقليم مصر ولا برقة، وإنما يختص بطرابلس وما وراءها إلى جهة المغرب". انظر: ابن خلدون كتاب العبر، دار احياء التراث العربي، ط4، بيروت: 101/6.

[42] – برنشفيك، تاريخ افريقية في العهد الحفصي، ترجمة: حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، ط1، تونس 1988م: 338/2.

[43] – البشير الريسوني، مرجع سابق، ص 160.

[44] – محمد بن الخوجة، الرجال الأربعون أصحاب الإمام الشاذلي، المجلة الزيتونية، المجلد الرابع، الجزء التاسع، المطبعة التونسية، تونس جمادى الأولى1360هـ /جوان 1941م، ص 283.

[45] – الحشايشي، الدر الثمين، ص 61. 66 ، وممن ذكر ذلك الشيخ بيرم الرابع. محمد بوذينة، أبو الحسن الشاذلي، دار التركي للنشر، 1989م، ص 76.

[46] – برنشفيك، مرجع سابق: 344/2.

[47] – إضافة إلى الكتابات النثرية حول أصحاب الشاذلي الأربعين مثل الحشايشي والمخطوطات المذكورة في هذا المقال برزت أيضا كتابات شعرية بنظم قصائد لتسهيل حفظ أسمائهم كما ذكر الحشايشي في تقديم قصيدته الموسومة ب "سمط اللجين في نظم الأربعين"، وقد ذكر الزركلي أيضا مدرسا تركيا تونسي الأصل اسمه أحمد برناز الحنفي(ت1138هـ/1726م) كان من بين تآليفه "قصيدة طويلة بائية" نظمها في الأربعين من أصحاب الإمام الشاذلي. انظر: الحشايشي الدر الثمين ص ص 67-70. الزركلي الأعلام: 103/1.

[48] – محمد بوذينة، أبو الحسن الشاذلي، ص 76.

[49] – انظر حول وفاته: هشام عبيد نشأة الطريقة الشاذلية بافريقية قراءة جديدة، تونس، ص 218. وذكر البعض أن وفاته كانت سنة 661هـ /1263م مثل: محمد بوذينة، أبو الحسن الشاذلي، ص 76. محمد الخوجة، الرجال الأربعون أصحاب الإمام الشاذلي، ص 284.

[50] – محمد بن الخوجة، الرجال الأربعون أصحاب الإمام الشاذلي، ص 284.

[51] – المرجع نفسه، ص 284.

[52] – المرجع نفسه، ص 284.

[53] – لم يذكر الحشايشي ولا النسخ المخطوطة وفاته، وحول ذلك انظر: محمد بن الخوجة، الرجال الأربعون أصحاب الإمام الشاذلي، ص 284. هشام عبيد نشأة الطريقة الشاذلية بافريقية، ص 215.

[54] – محمد بن الخوجة، المرجع السابق، ص 284، وسماه عياد بن مخلوف الزيات.

[55] – شهرته الأكثر رواجا هي باسم "أبي حفص الجاسوس" انظر: مخطوط رقم: 1524 ورقة 3و. محمد بن الخوجة، الرجال الأربعون أصحاب الإمام الشاذلي، ص 284، أو "الجاسوسي" مثل مخطوط رقم: 18555 ورقة 9و.

[56] – محمد بن الخوجة، الرجال الأربعون أصحاب الإمام الشاذلي، ص 284، وجعل وفاته سنة 669هـ.

[57] – أو المزوغي انظر: المرجع نفسه، ص 284

[58] – أو" أبو سالم البرقي" انظر: محمد بن الخوجة، الرجال الأربعون أصحاب الإمام الشاذلي ، ص 285. محمد بن الخوجة، عود للرجال الأربعين أصحاب الإمام الشاذلي، ص 313، وفيه أنه توفي سنة 661هـ

[59] – وجاء أيضا باسم الفارسي في خط آخر. انظر: هشام عبيد، نشأة الطريقة الشاذلية... ، ص 237.

[60] – يعرف أيضا ب "الربيعي" أو "الريغي" أو "الربغي". انظر: مخطوط رقم: 18555 ورقة 9ظ. هشام عبيد، نشأة الطريقة الشاذلية... ، ص 238. محمد بن الخوجة، الرجال الأربعون أصحاب الإمام الشاذلي، ص 285.

[61] – أو "علي المزاتي" في كتابات أخرى. انظر: هشام عبيد، نشأة الطريقة الشاذلية، ص 238و

[62] – وفي نسخ أخرى: "النطاع" انظر: مخطوط 6556 ورقة 3ظ.

[63] – ورد بلفظة "اللنتاتي" عند محمد بن الخوجة، الرجال الأربعون أصحاب الإمام الشاذلي، ص 285.

[64] – – ورد كذلك بلفظة "أبو عطية" انظر: المرجع نفسه، ص 285.

[65] – ذكر تاريخ وفاته محمد بن الخوجة، الرجال الأربعون أصحاب الإمام الشاذلي، ص 285. ولم يذكر الحشايشي ذلك.

[66] – ورد في مخطوط 1855 ورقة 11ظ بلفظ: "قاسم" وأنه توفي سنة 664 هـ. في حين ورد بلفظ بلقاسم في مخطوط 6556 ورقة 4و.

[67] - في كتابات أخرى: "محمد الغرامي" انظر: محمد بن الخوجة، الرجال الأربعون أصحاب الإمام الشاذلي، ص 285.

[68] – أو "الشعبي" كما هو الحال في المخطوط رقم: 1524 ورقة 5ظ.

[69]– ورد بلفظ "المرزوقي" عند محمد بن الخوجة، عود للرجال الأربعين أصحاب الإمام الشاذلي، المجلة الزيتونية، المجلد الرابع، الجزء العاشر، المطبعة التونسية، تونس جمادى الثانية 1360هـ /جويلية 1941م، ص 312. وانظر حول وفاته: هشام عبيد نشأة الطريقة الشاذلية بافريقية ص 225.

[70] – مقبرة الجلاز: نسبة إلى الشيخ محمد الجلاز (القرن 7هـ/13م) وقصة بناء المقبرة في تونس مذكورة في كتب المناقب. انظر: هشام عبيد، تونس وأولياؤها الصالحون، ص 375.

[71] – شرف المركاض: في الربض الجنوبي لمدينة تونس، ويعتبر علي القرجاني(ت 681هـ/1282م) شيخ شيوخ شرف المركاض. انظر: هشام عبيد، نشأة الطريقة الشاذلية، ص 308.

[72] – ونخص بالذكر "درة الأسرار" لابن الصباغ و"لطائف المنن" لابن عطاء الله السكندري كما سنرى لاحقا.

[73] – هشام عبيد، تونس وأولياؤها الصالحون في مدونة المناقب الصوفية، ص 240.

[74] – جمعة شيخة، أبو الحسن الشاذلي ماذا بقي من تراثه حيا بتونس (ضمن الندوة 7: أبو الحسن الشاذلي وتراثه)، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة عبد المالك السعدي– تطوان، مطبعة ألطو بريس، طنجة 2002م، ص ص 100–101. هشام عبيد، نشأة الطريقة الشاذلية بافريقية، ص 198. عبد العزيز بنعبد الله، معلمة التصوف الإسلامي، ج2(التصوف المغربي من خلال رجالاته) ، دار نشر المعرفة، الرباط، ص 67، وجعل ذلك سنة 613هـ/1221م.

[75] – علي بن محسن الصعيدي، تعطير الأنفاس، تعطير الأنفاس بمناقب سيدي أبي الحسن الشاذلي وسيدي أبي العباس، مخطوط رقم: دار الكتب، تونس ورقة 10و، 10ظ.

[76] – لم يضبط تاريخ جازم لوفاة الشيخ ابن مشيش وهو عموما ما بين 622 و626هـ، كما هو الشأن في تاريخ مولده، وقال التليدي: "أما وفاته فكانت على المشهور سنة 625هـ". انظر: التليدي عبد الله بن عبد القادر، المطرب بمشاهير أولياء المغرب، دار الأمان، ط1، الرباط 1437هـ/2016م، ص119. إبراهيم حركات، مدخل إلى تاريخ العلوم بالمغرب المسلم(التصوف) ، دار الرشاد الحديثة، ط1، الدار البيضاء 2000م: 125/3.

[77] – ابن الصباغ، درة الأسرار، ص 7.

[78] – المصدر نفسه، ص 8.

[79] – المصدر نفسه، ص 168.

[80] – جمعة شيخة، المرجع السابق، ص 105.

[81] – ابن الصباغ، درة الأسرار، ص، ص 158،172. وقد عاد الحاج محمد القرطبي بأمر الشيخ الشاذلي للاعتناء بأبي عبد الله بن سلطان أخ خادم الشيخ ماضي بن سلطان المسروقي، وهذا الأخير يعود أيضا إلى تونس بعد وفاة شيخه الشاذلي حتى وفاته ودفنه بالجلاز بتونس سنة 718هـ. هشام عبيد، نشأة الطريقة الشاذلية، ص 217.

[82] – ابن البراء (580–677هـ/1184–1278م): الفقيه أبو القاسم بن البراء المهدوي بن علي بن عبد العزيز التنوخي، تولى قضاء تونس سنة 656هـ، ثم أعفي من ذلك بعد سنة.، وقيل أنه كان متحفظا تجاه متصوفة عصره ورفض زيارة قبورهم وأضرحتهم. انظر: ابن قنفد، الفارسية، ص 121. الزركشي، تاريخ الدولتين، ص 35، 43. هشام عبيد، نشأة الطريقة الشاذلية بافريقية قراءة جديدة، ص 172.

[83] – قال ابن الصباغ عن المرسي: "فهو أحمد بن عمر بن علي الأنصاري، رباه الشيخ، وصل في مركب انكسرت بهم في بحر بونة، ومات أبوه وأمه، ووصل هو وأخوه أبو عبد الله محمد إلى تونس، فأخذهما الشيخ وتوجها معه إلى الديار المصرية، فكان أبو عبد الله مؤدبا للصبيان، وكان من حملة القرآن، وسيدي أبو العباس أخذ في العبادة والنسك إلى أن بلغ إلى الخلافة"، وقد توافق سفر أسرة المرسي هذا مع سقوط مدينة مرسية في يد نصارى الأندلس. انظر: ابن الصباغ، المصدر السابق، ص ص 146-147.

[84] – إبراهيم حركات المرجع السابق ص 140.

[85] – ابن الصباغ، درة الأسرار، ص 14.

[86] – ابن عطاء الله، لطائف المنن، ص 88.

[87] – ابن الصباغ، درة الأسرار، ص 13.

[88] – الصعيدي الرميلي، تعطير الأنفاس، ورقة 24ظ.

[89] – ابن عطا الله السكندري، المصدر السابق ص 94. الصعيدي الرميلي، تعطير الأنفاس، ورقة 62ظ.

[90] – ابن عطا الله السكندري، المصدر السابق ص 93.

[91] – ابن عطا الله السكندري، المصدر السابق ص 122. الكوهن الفاسي، المرجع السابق، ص 86.

[92] – ابن عطا الله السكندري، المصدر السابق ص 88.

[93] –المصدر نفسه، ص 76.

[94] – المصدر نفسه، ص 103.

[95] – المصدر نفسه، ص 76.

[96] – المصدر نفسه، ص 84.

[97] – السيوطي، حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، ت: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، ط1، القاهرة 1387هـ/1967: 520/1. الكوهن الفاسي، المرجع السابق، ص 66.

[98] – السيوطي، المصدر السابق: 521/1. الكوهن الفاسي، المرجع السابق، ص ص 67-68..

[99] – ابن الملقن، المصدر السابق، ص ص 485-486. وانظر أيضا: الأدفوري، الطالع السعيد الجامع أسماء نجباء الصعيد، تحقيق: سعد محمد حسن وطه الحجري، الدار المصرية للتأليف والترجمة، مصر 1966م، ص ص 736-737.

[100] – الكوهن الفاسي، المرجع السابق، ص 65.

[101] – ابن الصباغ، درة الأسرار، ص 42. إبراهيم حركات، المرجع السابق، ص 141.

[102] – أحمد الوارث، ميزات الشاذلية الأم وكيفية انتشارها في المغرب(ضمن الندوة 7: أبو الحسن الشاذلي وتراثه)، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة عبد المالك السعدي– تطوان، مطبعة ألطو بريس، طنجة 2002م، ص 82.

[103] – جمال الدين الشيال، أبو الحسن الشاذلي وخليفته أبو العباس المرسي، مجلة العربي، العدد: 68، وزارة الإرشاد، الكويت 1964، ص 100.

[104] – ابن عطاء الله، المصدر السابق، ص 76.

[105] – ابن الطواح، المصدر السابق، ص 90.

[106] – عبد القادر العافية، شخصية أبي الحسن الشاذلي ومكانته مجلة دعوة الحق، العدد: 345، وزارة الأوقاف الشؤون الإسلامية، الرباط 1420هـ/1999م.

[107] – محمد مخلوف، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، ج1، المطبعة السلفية، القاهرة1349هـ، ص 187. عبد القادر العافية، شخصية أبي الحسن الشاذلي ومكانته (ضمن الندوة 7: أبو الحسن الشاذلي وتراثه)، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة عبد المالك السعدي– تطوان، مطبعة ألطو بريس، طنجة 2002م، ص 67.

[108] – الكوهن الفاسي، المرجع السابق، ص 42.

[109] – ابن عطاء الله السكندري، المصدر السابق، ص 24. وقد نسب الشعراني هذا القول إلى أبي العباس المرسي. انظر: الشعراني، الطبقات الكبرى: 26/2.

[110] – الشعراني، الطبقات الكبرى: 26/2.

[111] – ابن الملقن، طبقات الأولياء، ص 501.

[112] – ابن عطاء الله لطائف المنن (مقدمة التحقيق) ص 10.

[113] – ابن عطاء الله السكندري، المصدر السابق، ص 80.

[114] – الشعراني الطبقات الكبرى: 128/2.

[115] – الشيال، أبو الحسن الشاذلي وخليفته أبو العباس المرسي، ص 101.

[116] – ابن الصباغ، المصدر السابق، ص 145.

[117] – ابن عطاء الله السكندري، المصدر السابق، ص 117.

[118] – جعل ابن خلدون التصوف ضمن العلوم الشرعية في تصنيفه للعلوم. انظر: ابن خلدون، العبر: 467/1.

[119] – ابن عطاء الله السكندري، المصدر السابق، ص 120. الشعراني، الطبقات الكبرى: 31/2.

[120] – الشعراني، الطبقات الكبرى: 27/2.

[121] – ابن عطاء الله السكندري، المصدر السابق، ص 110.

[122] – ابن الصباغ، مناقب أبي علي التباسي، تحقيق: أحمد الباهي، دار كونتراست للنشر، سوسة 2012م، ص73.

[123] – المصدر نفسه، ص75، وفي موضع آخر ص 53 نقل التباسي أن ابن البراء كان يحرض السفهاء ضد الشاذلي، كما أن التباسي سمع الشاذلي يقول: "فنبينا محمد صلى الله عليه وسلم تسليما ابتلي بإذاية الكفار، وصبر على أذاهم فمن أكون أنا حتى لا أصبر على إذاية المسلمين".

[124] – ابن الصباغ، درة الأسرار، ص 22. هشام عبيد، تونس وأولياؤها الصالحون في مدونة المناقب الصوفية، ص338.

[125] – انظر الوصايا بنصوصها: ابن الصباغ، مناقب أبي علي التباسي، ص ص 52-54.

قائمة المصادر والمراجع: